**المنهج البنيوي**

**الأهداف :**

* تعريف الطالب بالمنهج البنيوي
* علاقة البنيوية باللسانيات والمعارف الأخرى
* أسس ومبادئ البنيوية

**الأسئلة والإشكالية**

* ما مفهوم البنيوية؟
* ما علاقة البنيوية باللسانيات والمعارف الأخرى؟
* ما هي أسس البنيوية؟

**طبيعة المنهج البنيوي**

لقد كانت البنيوية ملء العالم وصداه ، إذ كانت ظاهرة كونية عابرة للحدود والقارات ، حملت عهدا جديدا أو بشارة العلوم الإنسانية التي آن لها أن تنازع العلوم الطبيعية ، بمعايير أكثر عقلانية لا تقل دقة عن العلوم الرياضية ، ومثّل هذا العهد قطيعة كلية مع النزعة التاريخية والوجودية التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وكان الفتح البنيوي بمثابة الخلاص للإنسانية من الحيرة والقلق الحذر الذي تفننت الوجودية في تصويره " هذا الجانب القدري من البنيوية يجتذب إليه العقول التي تستريح إلى الأنظمة التي تحتويها وتشعرها بالأمان داخل النسق، فتحميها من الوجود الخطر القلق الذي تتداعى فيه الأشياء بما يشعر الإنسان أنه وحيد في مواجهة العدم. هذا العدم نفسه، خاصة في دلالته الوجودية، هو ما تنفيه البنيوية . حين ترد المعنى إلى العالم، وتفهم العالم بوصفه أنساقا وراء أنساق من الأبنية الدالة، التي تنتظر الكشف عن مغزاها ووظائفها، فالعالم بنية كبرى دالة، لها وجودها الآني الذي يجاوز التاريخ المتعاقب ..." .

ولم تكن البنيوية نقيضا للوجودية وفلسفة التاريخ كتيارات فكرية سائدة ورائجة ، وإنما كانت نقيضا للفكر الفلسفي ذاته الذي يجعل من الأنا والميتافيزيقا والإنسان موضوعا لها ، وانقلابا كليا على الأديولوجيا ، أو كل تصور يجعل من الذات منطلقا لفكره ، معلنة بذلك عن موت الإنسان وموت الفلسفة وموت التاريخ..، إيذانا بميلاد البنية ، أو عصر البنيوية التي أضحت مفتاح كل العلوم ولسانها الذي يمكنها من تحقيق معرفة أقرب إلى اليقين بكل الموجودات بما في ذلك الإنسان باعتبار كل شيء بنية قائمة بذاتها ومستقلة عن كل ما سواها و " لفظ البنية يحمل في تضاعيفه تحقيق الحلم البشري الذي طالما حاول وضع اليد على الموضوع، من أجل احتباسه في شباك نظامه العقلي ، وكأن البنية نفسها هي تلك الوحدة الجديدة ، التي تضمن للعقل فهم الواقع والسيطرة عليه من جهة ، وإشباع حنينه إلى النظام الأولي المفقود من جهة أخرى.." ، وتهدف البنيوية إلى رد كل شيء إلى نظام كامن ومكتف بذاته يوازي نظام العقل في شكل تعارض بين محسوس السطح الظاهري ، ومعقول النظام الخفي ، الذي هو أقرب إلى العلمية أو العقلانية البنيوية .

وقد غزت البنيوية مختلف الميادين المعرفية انطلاقا من الألسنية عند دي سوسير وياكبسون إلى الأنثروبولوجيا عند كلود ليفي ستراوش مرورا بعلم النفس عند جاك لاكان وميشال فوكو، وعلم الاجتماع عند ألتوسير وغيرهم... ، فضلا عن النقد الأدبي عند رولان بارت ، فلا عجب أن تنتقل حمى البنيوية إلى العالم العربي بكل ما تحمله من آمال وطموحات وما تنطوي عليه من مشكلات وعثرات، يقول كمال أبو ديب عن البنيوية " بصرامتها وإصرارها على الاكتناه المتعمق ، والإدراك متعدد الأبعاد ، والغوص على المكونات الفعلية للشيء والعلاقات التي تنشأ بين هذه المكونات ، تغير الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر وتحوله إلى فكر متسائل ، قلق ، متوثب ، مكنته ، متقص ، فكر جدلي ، شمولي في رهافة الفكر الخالق ، وعلى مستواه من اكتمال التصور والإبداع ." ، وهذا ما يقدمه أبو ديب في حماسة بالغة واصفا عمله بالثورية والتأسيس الذي هو نقيض كل ما كان قبله،و يرى صلاح فضل أحد أعلام البنيوية في النقد العربي ، أن المنهج الجديد مستوى آخر من النظر لم يألفه القارئ العربي إذ هو "أصعب المناهج الحديثة وأدقها وأكثرها جفافا وأبعدها عن التصورات التقليدية... لأنه يلتزم بمستوى نظري تجريدي عال يقتضي منه العزوف عن التطبيقات المبتسرة المبسطة في محاولة لاستيعاب النظرية أولا وموقعتها في إطارها الثقافي الشامل ثانيا." ، ويشير صلاح فضل إلى أهم الأعمال التأسيسية للمنهج البنيوي في النقد العربي ، التي يرجعها إلى ثلاث أعلام أساسية وهم عبد السلام المسدي في (الأسلوب والأسلوبية) ، وكمال أبو ديب في (جدلية الخفاء والتجلي) وزكريا ابراهيم في (مشكلة البنية) ، التي اختلفت بين الجانب التنظيري والتطبيقي ، معتبرا عمله حلقة مهمة في استكمال التعريف بالبنيوية وخلفياتها ، والأسس التي قامت عليها باعتبارها إجراء ومنهجا أكثر من كونها فلسفة أو مذهبا ، وتقوم البنيوية على أربعة أركان أساسية ألا وهي :

* التركيز على البنية التحتية اللاواعية لكل ظاهرة في مستواها العلائقي المحايث .
* لا معنى لأي عنصر من العناصر في الظاهرة بوصفه كيانا مستقلا ، وإنما بوصفه عنصرا لا دلالة له إلا بعلاقته بغيره .
* هذه العناصر لا ينظر لها كمجموع أجزاء متجاورة ، وإنما كمجموع متفاعل من العلاقات التي تعبر عن رؤية شاملة هي محصلة النسق أو البنية .
* الكشف عن القوانين الكلية التي تنطوي عليها الظواهر بالاستدلال والاستنباط الذي يؤكد وحدة العقل في مقابل وحدة القوانين التي يعمل بموجبها .

ومن هنا تقوم البنيوية على تتابع منظم من العمليات العقلية التي تخضع النص إلى عمليتي التفكيك ثم الربط ، أو تحليل عناصر النص إلى وحداته الأولية تمهيدا لإعادة تركيب الموضوع على نحو يكشف به عن الدلالة العلائقية للعناصر وأبعادها الوظيفية .

ويبدو أن هذه الطبيعة المنهجية المحكمة قد أغرت الكثير من النقاد العرب في محاولة تجريبها على النص العربي القديم والحديث في بحث دؤوب عن البنى والعناصر الكلية التي تعيد دراسة النصوص دراسة علمية ومنهجية تمكنها من السيطرة على الموضوع والقبض على المعنى في إطار النسق و البنية أو الخصائص المشتركة بين النصوص التي ربما أصابت الناقد العربي بنشوة الانتصار وإمكانية السيطرة على حركية الإبداع ، وهذا ما عبرت عنه الكثير من الدراسات البنيوية للشعر والنثر العربي على غرار ما سبق ، نذكر ما أشادت به يمنى العيد بالبنيوية في كتابها (في معرفة النص) ، وفدوى مالطي دوغلاس في (بناء النص التراثي) ، ومحمد الواسطي في (أسرار النص) ، وما قامت به مجلة فصول المصرية في الترويج لهذا المنهج بداية الثمانينيات ، ولكن هذا الاكتساح العميق للبنيوية لم يخف قلقا خفيا أو معلنا تنطوي عليه مشكلات هذه النظرية في مستوى الإجراء والنظر ، وهذا ما عبر عنه أحد أقطابها وهو عبد السلام المسدي قائلا " إن عملية النقد البنيوي وما آلت إليه من بحث عن نظم العلاقات بين الدوال والرموز أضحت تجري في حلقة ضيقة لا تتعدى حدود الباحثين المختصين... إن عملية الإحصاء وما يجري مجراها من ضبط لرسوم بيانية وأشكال هندسية ، غدت مجرد بحث تجريدي مقصود لذاته ، دون أن يحقق النتائج المرجوة في الكشف عن أدبية النص ، وإن لم ينكر فضلها في نحت لغة ثانية تفيد النقد وتسهم في ترويضه على المهارات التواصلية المختلفة.." ، ودون التعرض للآراء التي تنطلق من موقف أديولوجي في نقدها للبنيوية أو من موقف مسبق من المناهج الغربية ، فإن ما كان من آراء نقدية تدور على ألسنة النقاد والدارسين والتي تبدي امتعاضها من تطبيقات البنيوية وما صاحبها من ضجيج نظري ، لم تكن لتوقف قطار البنيوية الذي عزم على التقدم دون الالتفات إلى الوراء ، ربما لضعف هذه الأصوات الناقدة أو قلتها في حضرة سلطان البنية ، وهذا ما عبرت عنه فدوى المالطي عندما ناقشت كل الاعتراضات على البنيوية – التي كانت سائدة – والرد عليها في مفتتح دراستها حول بناء النص التراثي، ومجمل ردها يقوم على أساس صلاحية البنيوية باعتبارها منهجا ولو بعد ظهور التفكيكية التي هي صورة معدلة من البنيوية ، وكذلك التفريق بين وظيفة الناقد العلمية التي تقوم على التحليل ووظيفة المتلقي الجمالي الفني ، كما أن البنيوية لا تلغي السياق الاجتماعي أو المؤلف بقدر ما تعتبر النص كأولوية ، و أن الإحالات الاجتماعية والسياسية يمكن التعرف عليها داخل بنى النص وليس إسقاطها على النص من الخارج ، وخارج الآراء الشائعة حول البنيوية التي ما كانت لتشكل عائقا في طريق المنهج الجديد ، فإن مصطفى ناصف يعد بحق أكثر النقاد مناهضة للبنيوية ومخاصمة للمناهج الشكلية ، ويتجلى ذلك صريحا في كتبه الوجه الغائب واللغة والتفسير والتواصل ونظرية التأويل.